مقدمة كتاب توحيد المفضل (دراسة تداولية)

مشكور حنون كاظم الطالقاني حيدر عذاب حسين
كلية العلوم الاسلامية/ جامعة كربلاء مديرية تربية محافظة كربلاء
kahdimalazzawi@gmail.com

الملخص

لقد درس الباحثون اللغة دراسة علمية بغية تحليل محتوياتها وفك شفراتها ولأجل ذلك افترضوا لها مناهج متعددة غير أن تلك المناهج أفرزت إشكالات مختلفة حالت دون تحقيق الهدف المنشود، وعلى ذلك اتبعوا مناهج أخرى تعيد مقام التكلم الى حظيرة التحليل اللغوي فكانت التداولية أحد أبرز هذه المناهج، فهي علم الاستعمال اللغوي أو دراسة اللغة في أثناء الاستعمال. وفي ضوء ذلك جاءت دراسة مقدمة كتاب (توحيد المفضل دراسة تداولية) لكي تكون ميدانا للتحليل التداولي. وهذا الكتاب يضم أحاديث طويلة عن الإمام جعفر الصادق (ع) تناول فيها موضوعات: كالحكمة ومعرفة الله وأسرار الخلق. وقد أملاه على المفضل بن عمر الجعفي فجاء، البحث بعنوان (مقدمة كتاب توحيد المفضل دراسة تداولية) وضم ثلاثة محاور وتمهيد وخاتمة،اشتمل التمهيد على طائفة من المصطلحات التداولية والتعريف بالكتاب، أما المحور الأول فقد تناول السياق التواصلي وعناصره الرئيسة، في حين تناول المحور الثاني الافتراض السابق ، وخصص المحور الثالث للحديث عن نظرية أفعال الكلام. وتم التوصل الى أن الأفعال الكلامية متعددة ومختلفة ولا توصف بعبارات الصدق والكذب، وهناك تبادل بين الأدوار الكلامية فيما يخص المتكلم والمتلقي وكل منهما له سياق تواصلي خاص به.

الكلمات المفتاحية: توحيد، المفضل، الإمام، التداولية.

Abstract

Researchers have studied the language a scientific study in order to content analysis and decoding and thereupon assumed her multiple approaches is that these approaches have produced different problematic prevented the achievement of the desired goal, and it followed other approaches restore the shrine to speak to the fold linguistic analysis was deliberative one of the most prominent of these approaches, they aware of the linguistic study of language use, or during use. In light of this study the introduction of the book came (unification preferred pragmatics study) in order to be an arena for analysis pragmatics. This book includes a long talk of Imam Jafar Sadeq (AS) which he addressed the topics: Kgmh and knowledge of God and the mysteries of creation. Was dictated by the favorite son of Omar Aljafee came, research titled (the preface to unify the preferred pragmatics study) included three axes and pave the finale, which included the boot to a range of deliberative terminology and definition of the book, and the first axis dealt context communicative and elements of the President, while addressing the second axis former assumption, and the third axis devoted to talk about the theory of speech acts. Was reached that verbal acts and multiple different and described in terms of honesty and lying, and there is an exchange of words between the roles with respect to the speaker and receiver each of which has its own communicative context.

Key words: unite, preferably, the imam ,pragmatics.

المقدّمة:كتاب" توحيد المفضل" أو "كتاب فكّر" كتاب يضم أحاديث طويلة عن الإمام الصادق (عليه السلام) تناول فيها موضوعات: كالحكمة ومعرفة الله، وأسرار الخلقة. وقد أملاه على المفضل بن عمر الجعفي خلال أربعة مجالس. ولغرض دراسة هذه المقدمة دراسة تداولية بعنوان:(مقدمة كتاب توحيد المفضل دراسة تداولية)، اقتضت طبيعة البحث أن يكون على ثلاثة محاور يسبقها تمهيد وتليها خاتمة. تناول التمهيد طائفة من مصطلحات التداولية، والتعريف بمقدمة كتاب توحيد المفضل. واختص المحور الأول بالسياق التواصليّ للمقدمة، وعناصر السياق الثلاثة (المرسِل، والمرسَل إليه، والرسالة).

أما المحور الثاني، فقد كشف عن الافتراض السابق في مقدمة توحيد المفضل، ونهض المحور الثالث بأفعال الكلام في مقدمة توحيد المفضل، ثم ختم البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج.

المدخل: مفهوم التداولية والتعريف بمقدمة كتاب (توحيد المفضل)

مفهوم التداولية

بدأت الإرهاصات الأولى للتداولية عند شارل موريس الذي استعمل مصطلح (pragmatics) [١]في مقالته (أسس نظرية العلامات) سنة (١٩٣٨م)، وعرَّفها بأنَّها العلم الذي يدرس علاقة العلامات بمستعمليها [٢]، وهذا التعريف يتسم بالعموم والشمولية، فهو يتجاوز الإطار العام للسانيات إلى حقل السيميوطيقيا، وكذلك التواصل الإنساني فيتعدَّاه إلى التواصل الحيواني والآلي، ولم يحدد سوى البعد الوصفي للتداولية [٣]، ولذلك عُرِّفت تعريفات عديدة بعده بُغية ضبط المصطلح، وضبط حقله البحثي.

ومن تلك التعريفات تعريف (فيرشون)، الذي عرَّفها بقوله: ((تدرس التداولية السلوك اللفظي الإنساني، والبعد الذي تدرسه التداولية هو الصلة بين اللغة وحياة الإنسان بشكل كامل)) [٤]، ويكاد يوافقه (إيلوار) بما حدَّه للتداولية إذ ذهب إلى أنَّها ((إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات تشترك عند معالجتها للقضايا اللغوية في الاهتمام بثلاثة معطيات لما لها من أثر فعّال في توجيه التبادل الكلامي وهي: المتكلمون (المخاطَب والمخاطِب) والسياق (الحال / المقام)، والاستعمالات العادية للكلام؛ أي الاستعمال اليومي والعادي للغة في الواقع)) [٥]، وعُرِّفت أيضاً بأنَّها: ((دراسة الارتباط الضروري لعملية التواصل في اللغة الطبيعية بالمتكلم والسامع بالمقام اللغوي، وبالمقام غير اللغوي، وارتباطها بوجود معرفة أساسية وبسرعة استحضار تلك المعرفة)) [٦].

مقدمة كتاب (توحيد المفضل):يبدأ كتاب (توحيد المفضَّل) بخبرٍ يرويه محمّد بن سنان يقول في مبتدئه:((حدّثني المفضَّل بن عمر))[٧]، ثمّ يبدأ المفضّل بسردِ قصّة هذا الكتاب، مستهلّاً حديثه بهذه العبارة: ((كنتُ ذات يوم بعد العصر جالساً في الرّوضة بين القبر والمنبر (أي في الرّوضة النّبويّة المطهّرة النيّرة)، وأنا مفكِّرٌ في ما خصّ اللهُ تعالى به سيّدنا محمّداً صلّى الله عليه وآله من الشّرف والفضائل.. فإنّي لَكذلك إذ أقبل ابنُ أبي العوجاء (الدّهريّ) فجلس بحيث أسمع كلامه، فلمّا استقرّ به المجلس، إذ رجلٌ من أصحابه قد جاء فجلس إليه)) [٨]. ثمّ دار كلامٌ وحديثٌ واحتجاجٌ ومناظرةٌ بينهما، فدخل معهما المفضّل في محاورةٍ مفصّلة، يردّ على أفكارهما الباطلة في نَفي الصّانع تبارك وتعالى عمّا يقول الكافرون. قال المفضل بعد ذلك: ((خرجت من المسجد محزوناً مفكراً فيما بلي به الإسلام وأهله من كفر هذه العصابات وتعطيلها، فدخلت على مولاي الصادق عليه السلام فرآني منكسراً فقال: ما لك يا مفضل؟ فأخبرته بما سمعت من الدهريين وبما رددت عليهما، فقال: يا مفضل، لألقيَنّ عليك من حكمة الباري (جلّ وعلا وتقدس اسمه) في خلق العالم والسباع والبهائم والطير والهوام، وكل ذي روح من الأنعام والنبات والشجر المثمرة وغير ذات الثمر،

والحبوب والبقول، المأكول من ذلك وغير المأكول مما يعتبر به المعتبرون، ويسكن إلى معرفته المؤمنون، ويتحير فيه الملحدون، فبكر غداً)) [٩]. ومن هنا ندرس في هذا البحث المحاورات الكلامية التي جرت في هذه المقدمة محاولين تبسيط خطوات التحليل التداولي لتلك المحاورات.

المحور الأول: السياق التواصلي:يعد السياق عنصرا مهما ((في قيام النظرية التداولية والذي يتكون من مجموعة العناصر المصاحبة للحدث اللغوي، كالمرسل والمخاطب والزمان والمكان وعدد المشاركين في الحدث اللغوي وطبيعة المناخ والوضع السياسي أو الاقتصادي إن كان لها دور في بناء وتحليل التركيب اللغوي)) [١٠]، وللسياق غير اللغوي عناصر متعددة:((أولها المتكلم نفسه، هل هو ذكر أم أنثى؟ صغير أم كبير؟ واحد أم اثنان أم جماعة أم جمهور؟ وما جنسه ودينه وشكله الخارجي ونبرة صوته ومكانه الاجتماعي إلى آخر هذه الصفات التي تميزه عن غيره. وهذا ينطبق على المستمع أيضاً. ويشمل إضافة إلى ذلك علاقته بالمتكلم من حيث القرابة أو الصداقة أو المعرفة السطحية أو عدم المعرفة أو عدم اللامبالاة أو العداوة)) [١١].

لهذا نجد التداولية تهتم بطرح أسئلة مختلفة عن أي نص لغوي، وتحاول الإجابة عنها بغية الوصول إلى القصد الدقيق لعملية الخطاب، ومن هذه الأسئلة [١٢]:

أ. من هو متكلم النص؟

ب. من هو متلقي النص؟

ج. ما هو زمان النص؟

د. ما هو مكان النص؟

ه. ما هو موضوع النص؟

و. ما هو مصدر التشويش والإيضاح؟ وكيف نتحدث بشيء ونفهم شيئا، في حين نريد قول شيء آخر؟

ز. ما هي القوى الحجاجية التي يعتمد عليها المتحدِّث من أجل إقناع متلقيه؟ هذه الأسئلة وغيرها التي تسعى التداولية للإجابة عنها ستكون المحور الرئيس في بيان السياق التواصلي لمقدمة كتاب توحيد المفضل.

السياق التواصلي لمقدمة توحيد كتاب المفضل: يبدأ النص كما ذكرنا في التمهيد بخبر يرويه محمد بن سنان يقول فيه: حدثني المفضل بن عمر، ثم يبدأ المفضل بسرد قصته وهي قصة تأليف الكتاب قائلاً مستهلاً حديثه بهذه العبارة: ((كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر، وأنا مفكر فيما خص الله تعالى به سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الشرف والفضائل... فإني لكذلك إذ أقبل ابن أبي العوجاء)) [١٣].

لو أنعما النظر في النص المتقدم ذكره لاستطعنا أن نحدد المتكلم، والمتلقي، وزمان ومكان النص.

- المتكلم أو(المرسل): هو المفضل الجعفي.
- المتلقي أو(المرسل إليه): هو محمد بن سنان.
- زمان النص: القرن الثاني للهجرة هي الفترة التي عاشها المفضل الجعفي.
- مكان النص: المدينة المنورة قرب قبر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).
- موضوع الرسالة: تفكير المفضل وانبهاره بفضائل الرسول، ولقائه بابن أبي العوجاء.

استعمل المتكلم (المفضل الجعفي) أسلوب الخبر في نصه المتقدم بوصفه آلية تداولية؛ لأن هذا الأسلوب ((يقوم على ملاحظة مقتضى الحال، أي مراعاة الموقف النفسي من حال السامع تجاه ما يخبر به، واضطرار المتكلم إلى تعديل الكلام والتصرف فيه حتى يلائم حال السامع ويؤدي وظيفته التواصلية الإبلاغية)) [١٤].

وإذا انتقلنا إلى النص الثاني من مقدمة كتاب توحيد المفضل أي المحاورة التي دارت بين ابن أبي العوجاء وصاحبه، حين قال:((لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله، وحاز الشرف بجميع خصاله، ونال الحظوة في كل الأحوال، فقال له صاحبه: إنه كان فيلسوفاً ادّعى المرتبة العظمى، والمنزلة الكبرى، ... فقال ابن أبي العوجاء: دع ذكر محمد فقد تحير فيه عقلي وضل في أمره فكري. وحدثنا في ذكر الأصل الذي نمشي له ... ثم ذكر ابتداء الأشياء، وزعم أن ذلك بإهمال لا صنعة فيه ولا تقدير... بل الأشياء تتكون من ذاتها بلا مدبر)) [١٥]. نلاحظ في النص المتقدم وجود أكثر من متكلم وأكثر من متلق، فتارة المتكلم يكون متلقياً، وأخرى بالعكس، نستطيع أن نقول هناك تبادل في الأدوار بين المتكلم والمتلقي أي حصول محاورة بينهما.

ولنجاح هذه المحاورة لا بد من وجود مجموعة من العناصر تتحكم في إنتاج هذه المحاورة أو (النص) لعل أهمها معيار العلاقة بين أطراف النص، و(السياق التواصلي) العام الذي يجري فيه الحديث، ما ينعكس بوضوح في طبيعة الإستراتيجية التي يتبناها المتحاوران، لأن تبني المتكلم لإستراتيجية معينة دون غيرها((يتعلق بالسياق في عموميته ، أي يتعلق بالمتحاورين وبعلاقتهما داخل السياق، بل ويتعلق بما هو خارج السياق، أي يتعلق بما يعرفه (المتكلم) عن الآخر(المتلقي) وما يعرفه المتحاوران عن المقام وعما يريدان قوله أو سماعه، وهما يعرفان معرفة تامة المدى الذي يمكن أن يبلغاه في التحاور)) [١٦].

في بداية النص المتقدم يمكن أن تحدد بسهولة طرفي التحاور وهما ابن أبي العوجاء وصاحبه، ونستطيع أن نلحظ التوافق الحاصل بينهما في الرؤية والاعتقاد، فهما يعتقدان أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، بلغ ما بلغ من العز والشرف والسلطان والمكانة الرفيعة لا لكونه رسول مرسل من الله، بل لاعتقادهما أنه كان فيلسوفاً ذكياً ادّعى النبوة، وهذا واضح وجلي في كلامهما، الذي استعملا فيه الأخبار المؤكد في المحاورة.

من ذلك قول ابن أبي العوجاء: لقد بلغ صاحب هذا القبر....إلخ. فاستخدم أسلوب الخبر المؤكد، بدليل وجود (لقد)، اللام واقعة في جواب القسم، وقد حرف يفيد التحقيق، ونقصد بالخبر هو إدراج مسؤولية المتكلم عن صحة ما يتلفظ به، وهو الخطاب التواصلي المكتمل إفادة والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تطابق نسبته الخارجية [١٧].

وكما هو معلوم أن أسلوب الخبر يحتمل الصدق والكذب، وإذا رجعنا إلى الفعل (بلغ) الوارد بالنص لوجدنا أن البناء الفعلي الدال على الماضي يفيد أن الأمر قد تم وتحقق.

وإذا انتقلنا إلى المحاورة التي حدثت بين المفضل، وابن أبي العوجاء لوجدنا أن أسلوب النداء في المحاورة أدى وظيفة تواصلية ، فقد جسّد دورة التخاطب حين توافر على مخاطِب (منادي)، ومخاطَب (منادى)، ورسالة [١٨]. وذلك في قوله: يا عدو الله ألحدت في دين الله، وأنكرت الباري جل قدسه.

يعد أسلوب النداء من التراكيب المتداولة في النحو العربي، فهو باب وما حواه من أحكام وقوانين يمثل ضرباً من الخطاب الكلامي، الذي لا يكون له أثر في التواصل إلا بوصفه عنصراً من عناصر مسرح اجتماعي، يضم مرسلاً ومستقبلاً أو مخاطباً ومتلقياً، أو هو طلب إقبال المخاطب أو هو دعوة مخاطب بحرف ناب مناب فعل: مثل (أدعو أو أنادي) [١٩].

وإذا طبقنا هذا الكلام على نداء المفضل لابن أبي العوجاء يصبح هكذا (يا أريد عبد الله). أي، يا: أداة + أريد: مركب فعلي + عبد الله: مركب أسمي.

ومن الجدير بالذكر أن المنادى ــ من وجهة نظر النحو الوظيفيّ ــ مكوّن من المكونات المسندة إليها الوظائف التداولية الخارجية، بلحاظ أن تلك المكونات تنقسم على قسمين، داخلية، وهي البؤرة والمحور، وخارجية، وهي المبتدأ والذيل والمنادى [٢٠]. وزيادة على ذلك أن مخاطبة المنادى بهذا المركّب (يا عدو الله) أدى وظيفة تداولية وهي: الاسترعاء، وهذه الوظيفة تتحقق عندما يستهل المتكلم الخطاب بالنداء العادي فإنه يقوم بعملية انتقاء للمنادى أو المخاطب الذي ينوي توجيه الكلام إليه فيكون النداء في بداية الجملة هو وسيلة استرعاء له [٢١].

وعلى وفق هذا التحليل، يكون المرسل هو المفضل الجعفي، والمرسل إليه هو ابن أبي العوجاء، أما غرض الرسالة فهو التوبيخ والتأنيب والتعنيف الذي وجهه المفضل لابن أبي العوجاء، وقد ساعد في وضوح هذا الغرض أو الرسالة، هو حذف حرف الاستفهام في النص المتقدم، وذلك في قوله: ألحدت في دين الله، وأنكرت الباري جل قدسه. والمعنى العميق: أألحدت؟، وأأنكرت؟

ونجد أن أسلوب النداء ورد أيضاً في المحاورة التي جرت بينهما ولكن هذه المرة كان المتكلم ابن أبي العوجاء، أما المنادى فهو المفضل الجعفي، وذلك في قوله: يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلمناك ...إلخ. نجد تركيب النداء(يا هذا) قد أدى وظيفة تداولية، وهي تعيين المخاطب وتخصيصه. معناه أعني أو أخص هذا.

مما سبق يتبين لنا أن أطراف التخاطب:(المفضل الجعفي، وابن أبي العوجاء) لا تربطهما أي علاقة مسبقة، فهما لا ينتميان إلى مذهب أو عقيدة واحدة، غير أن وظيفة التواصل خلقت صلة مخصوصة بينهما وهي التنازع.

كما تتسم هذه المحاورة بغياب كلي للتخاطب بالأسماء في حين يتكرر كاف الخطاب عن الطرفين، وهي علامة على تنزيل المتخاطبين أحدهما الآخر المنزلة نفسها، ومن أمثلة استعمال كاف الخطاب قول المفضل:الذي خلقك ...، وصورك...، ونقلك في أحوالك.

وكذلك قول ابن أبي العوجاء: إن كنت من أهل الكلام كلمناك، فإن ثبت لك حجة تبعناك، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك.

وعل وفق هذا التحليل نلحظ التباعد الحاصل بين المتحاورين باعتبار غياب الأرضية المشتركة بينهما، كما أن لغة المحاورة هي لغة محاطة بأساليب الغرابة والتحذير والتوجس، بعكس ما سنجده في خطاب الإمام الصادق للمفضل.

قال الإمام:((يا مفضل لألقين عليك من حكمة الباري في خلق العالم والسباع، والبهائم، والطير، والهوام، وكل ذي روح من الأنعام والنبات ...إلخ)) [٢٢].

وإذا أمعنا النظر في النص المتقدم نجد أن الإمام الصادق عليه السلام وجه كلامه للمفضل الجعفي مباشرة، وذلك باستعماله التركيب الندائي: يا مفضل، وقد أدى هذا التركيب وظيفة الاسترعاء، وهذه الوظيفة كما هو معلوم تتحقق عندما يستهل المتكلم الخطاب بالنداء العادي، والنداء هنا وسيلة استرعاء للمفضل.

كما أننا نلحظ في هذا النص أن وضعية التواصل قد جعلت الإمام الصادق عليه السلام في مقام المعلم(مرتبة عليا)، بينما جعلت المفضل في مقام المتعلم. وذلك لأن منتج الخطاب(الإمام الصادق) يمتلك سلطة على المستويين الديني والاجتماعي، وهذا بحدّ ذاته يمنح خطابه قوةً إنجازيةً تناسب ما هو عليه من المكانة، ومساحة أكبر في التلقي والقبول.

المحور الثاني: الافتراض السابق

الافتراض السابق مفهوم تداولي ((تتضمنه العبارة في المقام الذي ترد فيه من حيث العلامات المشتركة والمعروفة مسبقا لدى المتكلم والمخاطب)) [٢٣]. ومن الباحثين المحدثين من يطلق على الافتراض السابق، مصطلح ((الإضمارات التداولية)) [٢٤]، بلحاظ أن الإضمارات التداولية ((عبارة عن الإضمارات التي يكون الأصل فيها مقامات الكلام وسياقاته من حيث مناسبته لها)) [٢٥].

وتعد ((العلاقة بين طرفي الخطاب المرسل، والمتلقي من أهم العناصر السياقية التي تؤثر في تحديد العلامات اللغوية المناسبة، فالمرسِل عند إنتاج نصه يأخذ بنظر الاعتبار الخلفية الثقافية والمعرفية وما يملكه المتلقي من معلومات وأفكار تضيء معالم الرسالة وتمنحه النور ليرى ما تحمله التراكيب السياقية من دلالات تداولية، ففي كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواه ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة في الملفوظ)) [٢٧].

فقولنا على سبيل المثال:

أ. زيد اغتيل سنة ١٨٦٨م.

ب. زيد قتل سنة ١٨٦٨م.

يتضمن افتراضا مسبقا، فاستعمال الفعل (اغتيل) في الجملة(أ) يفترض أن زيدا شخصية سياسية بارزة، بخلاف الفعل (قتل) في الجملة (ب) [٢٧].

وعلى وفق معطيات الافتراض السابق و إجراءاته، فقد تضمنت المحاورات الثلاث الواردة في مقدمة كتاب توحيد المفضل افتراضاً سابقاً يكمن بيانه على النحو الآتي:

أولاً: رواية المفضل، ثم محاورة ابن أبي العوجاء مع صاحبه

أ-((قال المفضل: كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر، وأنا مفكر فيما خص الله تعالى به سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من الشرف والفضائل)) [٢٨].

يستبطن هذا النص افتراضاً سابقاً مفاده أن المفضل الجعفي(رضوان الله عليه) مسلم صحيح العقيدة يقر بوجود نبي مدفون في القبر وكان له منبر، وأن ما بين المنبر والقبر روضة من رياض الجنة، لمعرفته بالحديث النبوي الشريف: (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة). وما يدعم الافتراضات السابقة شخصيته المرموقة فكرياً وعقائدياً، ويظهر ذلك واقعاً عبر ترجمة حياته التي يظهر فيها كونه واحداً من الأصحاب المفضلين عند الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) بلحاظ التفكير في ذات الله ورسوله الكريم.

ب-((فتكلم ابن أبي العوجاء فقال: لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله، والشرف بجميع خصاله، ونال الحظوة في كل أحواله)) [٢٩].

يظهر التدقيق في النص والإنعام فيه أن ابن أبي العوجاء لم يكن على وعي بمكانة الرسول (ص)، وبعبارة أدق أن ابن أبي العوجاء كان من الذين ينكرون نبوة الرسول(ص)، وهذا الافتراض تأتى من قوله: (صاحب هذا القبر)، ولم يقل قبر الرسول الأعظم على سبيل المثال. زد على ذلك أن الإشارة قد تستعمل فيما يخفى على المتكلم كشفه [٣٠]، واستعمال اسم الإشارة (هذا) في كلام ابن أبي العوجاء قد يفسر بهذا التفسير، أي أن ابن أبي العوجاء قد خفي عنه مقام الرسول(ص) بسبب تعطل أوعية المعرفة لديه.

ج- ((فقال له صاحبه: إنه كان فيلسوفاً ادّعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى)) (٣١).

يقال في اللغة ادّعى فلان الشيء، بمعنى تمناه وطلبه لنفسه وزعمه له (٣٢)، وعلى وفق هذا المعنى تكون النبوة عند الرسول(ص) ادعاء. وفي ضوء المعنى اللغوي للفظة (ادّعى) يمكن القول أن صاحب ابن أبي العوجاء منكر لنبوة الرسول(ص)، فهو كصاحبه من مذهب واحد.

د- ((فقال ابن أبي العوجاء: دع ذكر محمد فقد تحير فيه عقلي وضل في أمره فكري وحدثنا في ذكر الأصل الذي نمشي له... ولا صنعة فيه ولا تقدير، ولا صانع ولا مدبر، بل الأشياء تتكون في ذاتها بلا مدبر، وعلى هذا كانت الدنيا ولم تزل ولا تزال)) (٣٣).

لو حللنا قول ابن أبي العوجاء المذكور آنفاً بلحاظ قوله تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ } الجاثية٢٤، لوجدنا أن فكر هؤلاء الملحدين مصداقاً للآية الشريفة، ذلك أن هذه الفئة الضالة تعتقد بالزمن (الدهر) الصانع الأول للأشياء.

ثانياً: محاورة المفضل مع ابن أبي العوجاء

أ-((قال المفضل: فلم أملك نفسي غضباً وحنقاً، فقلت: يا عدو الله ألحدت في دين الله، وأنكرت الباري جل قدسه)) (٣٤).

يضمر هذا النص أن المفضل الجعفي كان عارفاً وموحداً، فالحب لله و الانتفاضة لله هي من أهم خصال الموحدين.

ب-((فقال ابن أبي العوجاء: يا هذا... إن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا تخاطبنا، ولا بمثل دليلك تجادل فينا، ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت، فما أفحش في خطابنا، ولا تعدى في جوابنا وأنه الحليم الرزين، العاقل الرصين، لا يعتريه خرق، ولا طيش ولا نزق يسمع كلامنا، ويصغي إلينا ويتعرف حجتنا، حتى إذا استفرغنا ما عندنا، وظننا إنا قطعناه، دحض حجتنا بكلام يسير، وخطاب قصير، يلزمنا به الحجة، ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه رداً)) (٣٥).

يضمر هذا النص افتراضاً سابقاً مفاده أن ابن أبي العوجاء يعلم بمكانة الإمام الصادق (عليه السلام)، ويعلم بقدراته العلمية والأخلاقية، بدليل قوله: (لا يعتريه خرق ولا طيش، ولا نزق ... ولا نستطيع لجوابه رداً)، فكلام الإمام المعصوم لا يدخله جهل ولا انحراف ولا ضعف في البرهان والحجة.

ثالثاً: سبب إملاء الكتاب على المفضل:قال الإمام الصادق عليه السلام:((يا مفضل لألقين عليك من حكمة الباري جل وعلا وتقدس اسمه،في خلق العالم والسباع والبهائم...ما يعتبر به المعتبرون ويسكن إلى معرفته المؤمنون، ويتحير فيه الملحدون)) (٣٦).

يفترض هذا النص أن الإمام لا يكون إماماً إلا بشروط منها: يجب أن يكون الإمام عالماً بتدبير ما هو إمام فيه من سياسة رعيته و النظر في مصالحهم، وغير ذلك بحكم العقل،((ويجب أن يكون الإمام عالماً بجميع الشريعة لكونه حاكماً في جميعها)) (٣٧).

يجد الناظر في النص والمدقق فيه أن الإمام يظهر علمه لتلميذه بسبب إلحاد وكفر ابن أبي العوجاء وصاحبه، كي يقدم دليلاً وبرهاناً عقلياً يثبت وجود الله عز شأنه وتعالى ذكره.

البنية الوظيفية وقدرتها التواصلية في مقدمة كتاب توحيد المفضل:

يقوم هذا المحور من البحث على تصوّر عام هو ((أن اللغات الطبيعية بنيات تحدد خصائصها (جزئيا على الأقل) ظروف استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية، وظيفة التواصل)) (٣٨). ولكي تبيّن وظيفة اللغة

الأساسية (التواصل)، عولجت البنية اللغوية من وجهة نظر وظيفية. والمنظور الوظيفي للبنية اللغوية يُرتِّب عناصر الجملة في ضوء سياقها الفعلي، بغية ((تنمية المعلومات التي يراد التعبير عنها، ذلك أنه في عملية الاتصال اللغوي تتعدد العناصر التي تدخل في تكوين الجملة وهذه العناصر لها إمكانية متفاوتة في إثراء معلومات المستمع: فبعضها يحتوي على معلومات يعرفها المستمع بالفعل أو يمكن استعادتها من خلال السياق، وبعضها يحتوي على معلومات جديدة)) [٣٩]، وهو ما يسمى في النحو الوظيفي بـــ (البؤرة)، بلحاظ فكرة البؤرة تقوم أساسا على وظيفة المكوّن الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة [٤٠].

وفي ضوء هذا التصوّر الموجز، يمكن تحديد ثلاث وحدات وظيفية في الجملة: المسند، وهو ينقل أقل درجة من المعلومات في عملية الاتصال اللغوي، والمسند إليه، وهو ينقل أعلى درجة من المعلومات، وتأتي بعد هاتين الوحدتين أو قبلهما أو بينهما الوحدة الانتقالية، وهي وحدة تكون غالبا من العناصر الإضافية كالظرف والحال والتمييز، أو العناصر التي يحتاج إليها لاستقامة الجملة، كأدوات النسخ وأدوات الشرط وأدوات النصب وغيرها [٤١].

والذي يلحظ هنا ((أن تحديد المسند والمسند إليه يكون على أساس وظيفتهما في الاتصال اللغوي... ولكي نتمكن من تحديد هذه الوحدات في الجملة ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار العوامل الثلاثة التالية:

١. نسق الجملة، أي كيفية ترتيب الأجزاء فيها.

٢. السياق العام للحدث اللغوي.

٣. السياق الدلالي الخاص للجملة (البنية الدلالية))) [٤٢].

ولتوضيح هذه الوحدات الثلاث، نضرب المثال الآتي [٤٣]:

السياق: ماذا شربتْ هند؟

الجملة: شربتْ هند فنجان قهوة .

وحدة انتقالية مسند مسند إليه.

وبعد الإمعان في التدبر في مقدمة كتاب توحيد المفضل تبين التالي:

أولاً: كلام المفضل الجعفي وهو يروي قصة تأليف الكتاب

قدم المفضل معلومتين رئيستين يمكن إجمالهما على النحو الآتي:

أ- معلومة يعلم بها المستمع والقارئ، وقد تمثلت هذه المعلومة في قول المفضل الجعفي:((كنت جالساً ذات يوم بعد العصر في الروضة بين القبر والمنبر، وأنا مفكر فيما خص الله تعالى به سيدنا محمداً (ص)من الشرف والفضائل)) [٤٤].

وهذه الخصوصية الممنوحة للرسول (ص) من الله (عز وجل) معروفة لدى المستمع أو القارئ.

ب- معلومة جديدة تثير انتباه السامع أو القارئ، وقد تمثلت هذه المعلومة بمجيء ابن أبي العوجاء وكلامه مع صاحبه [٤٥].

ثانياً: محاورة المفضل مع ابن أبي العوجاء

في ضوء قراءة المحاورة الأولى، أعني (كلام ابن أبي العوجاء مع صاحبه)، نستطيع أن نخرج بنتيجة مفادها أن المحاورة الثانية قد اشتملت على معلومتين الأولى ردة فعل طبيعة تمثلت بقول المفضل الجعفي: ((فلم أملك نفسي غضباً وحنقاً، فقلت: يا عدو الله ألحدت في دين الله، وأنكرت الباري جل قدسه)) [٤٦].

وهي معلومة قد تبادرت إلى ذهن القارئ أو السامع، بلحاظ حب المؤمن لله، وبغض الكافر لله.

أما المعلومة الجديدة التي أثارت انتباه السامع أو القارئ، هي قول ابن أبي العوجاء للمفضل الجعفي:((يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلمناك، فإن ثبت لك حجة تبعناك ... وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا تخاطبنا)) (٤٧).

ثالثاً: سبب إملاء الكتاب على المفضل:حملت المحاورة بين المفضل الجعفي (رضوان الله عليه)، والإمام جعفر الصادق (عليه السلام) معلومتين رئيستين.

الأولى: معلومة معروفة لدى السامع أو القارئ، وقد تمثلت بقول المفضل: ((فخرجت من المسجد محزوناً مفكرا فيما بلي به الإسلام وأهله من كفر هذه العصابة)) (٤٨).

والأخرى: معلومة جديدة تكمن في قول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): ((يا مفضل لألقين عليك من حكمة الباري (جل وعلا وتقدس اسمه) في خلق العالم، والسباع، والبهائم، ... ما يعتبر به المعتبرون، ويسكن إلى معرفته المؤمنون ويتحير به الملحدون فبكر علي غداً)) (٤٩). وهذا يعكس تشبع الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) بالروافد الثقافية المتعددة للحضارة العربية فضلاً عن علمه اللدني.

المحور الثالث: الأفعال الكلامية في مقدمة كتاب توحيد المفضل:

يعدّ الفعل الكلاميّ speech act نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية (٥٠)، ومضمونه أنه ((كل ملفوظ يفضي التلفظ به في شروط معينة إلى حدث أو فعل، ينتج هذا الفعل آثارا قد تكون لغوية وقد تكون غير لغوية)) (٥١).

وقد ميّز جون أوستن بين نوعين من الأفعال الكلامية، الأول أفعال إخبارية، وهي أفعال تصف العالم الخارجي ووقائعه وتكون صادقة أو كاذبة، وأخرى أفعال أدائية تنجز بها في ظروف ملائمة أفعال لا توصف بصدق أو كذب، بل تكون موفقة أو غير موفقة ويدخل فيها التسمية والوصية والاعتذار والرهان والنصح والوعد. ثم قدم أوستن تصنيفا للأفعال الكلامية بلحاظ قوتها الإنجازية ، اشتمل على خمسة أصناف هي :

١. الحكميات، وفي جوهرها إطلاق أحكام على واقع أو قيمة مما يصعب القطع بها ومن أمثلتها: قيّم، حكم، وصف، حلل، صنّف، فسّر وغيرها.

٢. الانفاذيات، تقوم على إصدار قرار لصالح أو ضد سلسلة أفعال، مثل: أمر، قاد، دافع عن، ترجى، طلب، تأسف، نصح، عيّن، نبّه، طالب...

٣. الوعديات، تشير إلى إلزام المتكلم بأداء فعل ما، كما قد تكون افصاحات عن نواياه، ومن أمثلتها: وعد، أقسم، راهن، عقد، عزم، نوى...

٤. السلوكيات، تتعلق بردود فعل تجاه سلوك الآخرين وتجاه الأحداث المرتبطة بهم، مثل: الاعتذار، الشكر، التهنئة، الترحيب، النقد، الهجاء، التوبيخ...

٥. التبيينات، تستعمل لعرض مفاهيم وتوضيح استعمال كلمات وضبط مراجع، مثل: أكّد، أنكر، وهب، نقل، أثبت، استنبط، وغيرها (٥٢).

لقد كانت جهود (أوستن) بمثابة الأرضية لتأسيس الأفعال الكلامية، فقد كان ما قدمه حول الفعل اللغوي وبخاصة الفعل الإنجازي كافياً ليكون نقطة انطلاق لتلميذه (سيرل)، إذ ميّز (سيرل) بين نوعين من الأفعال الأول أفعال تمريرية، والآخر أفعال تأثيرية، والفعل التمريريّ هو أصغر وحدة مكتملة في الاتصال اللغوي الإنساني، فحينما نكتب أو نتكلم فإننا نؤدي أفعالا تمريرية، ونحتاج أن نميّز الأفعال التمريرية التي هي الخاصة من تحليلنا عن الآثار والنتائج التي يمكن أن تسفر عنها الأفعال التمريرية في المستمعين، فمثلا: من

خلال أمرك بأن تفعل شيئا، أدفعك إلى أن تقوم به، ومن خلال المجادلة معك قد أتمكن من حثّك، وحين أصدر حكما قد أقنعك، ففي هذه الأمثلة نوعان من الأفعال، إذ تعرض العبارة الأولى من كل مثال فعل تمريريّ، وتذكر العبارة الثانية أثر ذلك الفعل، وهو الذي اصطلح عليه سيرل بـــ (الفعل التأثيريّ) (٥٣).

تحليل الأفعال الكلامية الواردة في مقدمة كتاب توحيد المفضل:

أولاً: كلام المفضل لابن سنان

أ-((كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر)) (٥٤).

- الفعل الكلامي (كنت) ويتشكل هذا الفعل من:

١-فعل إسنادي/ نحوي: جملة فعلية مكونة من الفعل الناسخ (كنت) موضوعه بعد العصر بين القبر والمنبر الشريفين.

٢-فعل إحالي: يتمثل في الإحالة على المتكلم بالضمير المتصل في الفعل (كنت).

٣-فعل إنجازي: يتجسد في الجملة الفعلية الخبرية التي تتكون حمولتها الخبرية من قوة إنجازية مستلزمة تتمثل في الإخبار عن الجلوس بين القبر والمنبر، وهو فعل يقع في دائرة التبيينات.

ب-((وأنا مفكر فيما خص الله تعالى به سيدنا محمد(ص)من الشرف والفضائل)) (٥٥).

- الفعل الكلامي (خص).

١-فعل إسنادي/ نحوي: جملة فعلية مكونة من الفعل التام المتصرف (خص) المسند إلى لفظ الجلالة (الله عز وجل) موضوعه الأساس الإخبار عن أن الله (عز وجل) قد خص الرسول (ص) بالشرف والفضائل.

٢-فعل إنجازي: يتجسد في الجملة الفعلية الخبرية، وتتكون حمولتها الخبرية من شرف الرسول (ص)، وفضائله التي خصه الله بها، وهو فعل يقع في دائرة التبيينات.

ج-((مما لا يعرفه الجمهور من الأمة وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته)) (٥٦).

- الفعل الكلامي (لا يعرفه)، ويتشكل هذا الفعل من:

١-فعل إسنادي/ نحوي: جملة فعلية مكونة من الفعل التام (يعرف)، وفاعله الجمهور، وموضوعه الأساس هو الفاعل (الجمهور).

٢-فعل إحالي، يتمثل في الإحالة بالضمير(الهاء) على فضائل الرسول (ص) وعظمته.

٣-فعل إنجازي، يتجسد في الجملة الفعلية الخبيرة التي تتكون حمولتها الخبرية من قوة إنجازية مستلزمة تتمثل في الإخبار عن جهل الجمهور وعدم معر فتهم لفضائل الرسول (ص)، وهو فعل يقع في دائرة الانفاذيات.

د-((فإني لكذلك إذ أقبل ابن أبي العوجاء فجلس بحيث أسمع كلامه)) (٥٧).

- الفعل الكلامي (أسمع كلامه) يتشكل هذا الفعل الكلامي من:

١-فعل إسنادي/نحوي: يتكون من جملة فعلية مكونة من الفعل التام (أسمع)، والفاعل المستتر، والمفعول كلامه، وموضوعه الأساس سماع المتكلم لكلام ابن أبي العوجاء مع صاحبه.

٢-فعل إحالي، تتمثل الإحالية فيه عبر شقين، الأول إحالة بالضمير المستتر في (جلس) العائد على ابن أبي العوجاء، والثاني إحالة بالضمير المستتر في (أسمع) العائد على المفضل.

٣-فعل إنجازي، يتمثل في الجملة الفعلية (أسمع) التي تتكون حمولة خبرية مفادها سماع المتكلم وهو في موضع لم يره ابن أبي العوجاء، وهو فعل يقع في دائرة السلوكيات.

ه-((فتكلم ابن أبي العوجاء، فقال: لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله، وحاز الشرف بجميع خصاله، ونال الحظوة في كل أحواله)) (٥٨).

- الفعل الكلامي (لقد بلغ)، يتشكل هذا الفعل الكلامي من:

١-فعل إسنادي/نحوي، يتكون من جملة (بلغ) موضوعه الأساس الفاعل المستتر في (بلغ) هو مقام الرسول الأعظم (ص).

٢-فعل إحالي، والإحالة فيه عائدة على مقام الرسول (ص).

٣-فعل إنجازي، ويتمثل في الجملة الفعلية التي تتكون حمولتها الخبرية من قوة إنجازية مستلزمة تجسدت في الإخبار عن عظمة مقام الرسول (ص)، وهو فغل يقع في دائرة التبيينات.

و- فقال له صاحبه.((إنه كان فيلسوفاً ادّعى المرتبة العظمى، والمنزلة الكبرى، وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول)) (٥٩).

- الفعل الكلامي (ادّعى المرتبة العظمى)، ويتشكل هذا الفعل من:

١-فعل إسنادي/ نحوي، يتكون من جملة فعلية(ادّعى)، موضوعه الأساس الفاعل المستتر في (ادّعى) العائد على مقام الرسول (ص).

٢-فعل إحالي، والإحالة فيه عائدة على الرسول(ص).

٣-فعل إنجازي، ويتمثل في حمولة خبرية تجسدت في الإخبار عن إدعاء الرسول الكريم(ص) المرتبة العظمى، والحق أن الإدعاء بعيد عن مقام الرسول(ص)، وهو فعل يقع في دائرة السلوكيات.

ز-((فقال ابن أبي العوجاء دع ذكر محمد، فقد تحير فيه عقلي وضل في أمره
فكري)) (٦٠).

- الفعل الكلامي الأول (دع ذكر محمد) يتشكل هذا الفعل الكلامي من:

١-فعل إسنادي/ نحوي، يتكون من جملة فعلية مكونة من فعل تام وفاعل مستتر، وموضوعه الأساس الفاعل المستتر (صاحب ابن أبي العوجاء).

٢-فعل إحالي، والإحالة فيه عائدة على صاحب ابن أبي العوجاء.

٣-فعل إنجازي، حمل حمولة إخبارية تمثلت في ترك ذكر الرسول(ص). وهو يقع في دائرة السلوكيات.

- الفعل الكلامي الثاني (فقد تحير فيه عقلي)، ويتشكل هذا الفعل الكلامي من:

١-فعل إسنادي/ نحوي: يتكون من جملة فعلية (تحير) موضعها الأساس، التحير في عظمة مقام الرسول(ص).

٢-فعل إحالي، والإحالة فيه تجسدت العودة على فضائل الرسول(ص).

٣-فعل انجازي حمل حمولة خبرية مفادها التحير في فضائل الرسول (ص)، ومكارمه ومقامه الشريف، وهو فعل يقع في دائرة السلوكيات.

ثانياً: محاورة المفضل مع ابن أبي العوجاء.

أ-((قال المفضل: فلم أملك نفسي غضباً وحنقاً، فقلت: يا عدو الله ألحدت في دين الله)) (٦١).

- الفعل الكلامي الأول (فلم أملك نفسي)، ويتشكل هذا الفعل الكلامي من:

١-فعل إسنادي/نحوي: موضوعه الأساس عدم امتلاك النفس من قبل المتكلم (المفضل الجعفي).

٢-فعل إنجازي حمل حمولة خبرية تمثلت في الإخبار عن عدم امتلاك النفس غضباً وحنقاً بفعل إدعاء ابن أبي العوجاء وصاحبه، وهو فعل يقع في دائرة السلوكيات.

- الفعل الكلامي الآخر(ألحدت في دين الله) ويتشكل هذا الفعل من:

١-فعل إسنادي / نحوي: موضوعه الأساس الفاعل المستتر في (ألحدت) العائد على ابن أبي العوجاء.

٢-فعل إحالي، والإحالة فيه ضميرية عائدة على ابن أبي العوجاء.

٣-فعل إنجازي، حمل حمولة خبرية تمثلت في الإخبار عن إلحاد ابن أبي العوجاء في دين الله، وهو فعل يقع في دائرة الحكميات.

ب-((فلو تفكرت في نفسك وصدقك لطيف حسك، لوجدت دلائل الربوبية وآثار الصنعة فيك قائمة)) (٦٢).

- الفعل الكلامي الأول (فلو تفكرت في نفسك)، وتشكل هذا الفعل من:

١-فعل إسنادي/نحوي: تكون من الجملة الفعلية (تفكرت) موضوعه الأساس الفاعل (ابن أبي العوجاء).

٢-فغل إحالي، والإحالة فيه ضميرية عائدة على (ابن أبي العوجاء).

٣-فعل إنجازي، حمل حمولة خبرية مفادها الدعوة إلى التفكير في صنع الخالق (عز شأنه) وهو فعل يقع قي دائرة السلوكيات.

- الفعل الكلامي الثاني (صدقك لطيف حسك)، وتشكل هذا الفعل من:

١-فعل إسنادي/نحوي: تمثل في الجملة الفعلية، وموضوعه الأساس الفاعل (ابن أبي العوجاء).

٢-فعل إحالي، تجسدت الإحالة فيه عن طريق الضمير المتصل العائد على (ابن أبي العوجاء).

٣-فعل إنجازي، حمل حمولة خبرية مفادها عدم صدق لطيف حسن(ابن أبي العوجاء)، لكفره وفسقه، وهو فعل يقع في دائرة السلوكيات.

- الفعل الكلامي الثالث (لوجدت دلائل الربوبية)، وتشكل هذا الفعل من:

١-فعل إسنادي/نحوي: تمثل في الجملة الفعلية (لوجدت) موضوعه الأساس الفاعل المخاطب (ابن أبي العوجاء).

٢-فعل إحالي، والإحالة فيه بالضمير العائد على المخاطب.

٣-فعل إنجازي، حمل حمولة خبرية مفادها التفكر في صنع الله (عز وجل)، وهو فعل يقع في دائرة السلوكيات.

ج-فقال(ابن أبي العوجاء):((يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلمناك، فإن لم تثبت لك حجة تبعناك، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك)) (٦٣).

- الفعل الكلامي الأول (يا هذا)، وتشكل هذا الفعل من:

١-فعل إسنادي/نحوي: تكون من تركيب النداء الفعلي، وموضوعه الأساس المدعو بالفعل الذي ناب منابه (حرف النداء/ يا).

٢-فعل إحالي، والإحالة فيه بالضمير المستتر في الفعل المحذوف الذي ناب منابه حرف النداء، ذلك أن (يا) النداء قد نابت مناب الفعل أدعو أو أنادي.

٣-فعل إنجازي، حمل حمولة إنجازية مستلزمة تقديرها نداء المخاطب (المفضل الجعفي)، وهو فعل يقع في دائرة الانفاذيات.

- الفعل الكلامي الثاني (إن كنت من أهل الكلام كلمناك)، وتشكل هذا الفعل من:

١-فعل إسنادي/نحوي: تكون من الفعل الناقص المسند إلى الضمير المخاطب، وموضوعه الأساس.

٢-فعل إحالي، والإحالة فيه بالضمير المتصل.

٣-فعل إنجازي، حمل حمولة خبرية مفادها الإفصاح عن مذهب المخاطب أهو من أهل الكلام أم لا؟، وهو فعل يقع في دائرة السلوكيات.

- الفعل الكلامي الثالث (فإن ثبتت لك حجة تبعناك)، وتشكل هذا الفعل من:

١-فعل إسنادي/نحوي: موضوعه الأساس الفاعل الظاهر، أعني (الحجة).

٢-فعف إنجازي حمل حمولة خبرية مفادها ثبات الحجة عند المخاطب (المفضل الجعفي)، أو عدم ثباتها، وهو فعل يقع في دائرة السلوكيات.

د-((وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق، فما هكذا تخاطبنا)) (٦٤).

- الفعل الكلامي الأول (إن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق)، وتكون هذا الفعل من:

١-فعل إسنادي/نحوي: تكون من الفعل الناقص (كان) المسند إلى ضمير المخاطب، وموضوعه الأساس المخاطب (المفضل الجعفي).

٢-فعل إحالي، والإحالة فيه ضميرية تعود على المخاطب (المفضل الجعفي).

٣-فعل إنجازي حمل حمولة خبرية إنجازية مستلزمة مفادها، الإفصاح عن المذهب الذي ينتمي إليه المخاطب، أهو مذهب جعفر بن محمد الصادق(ع) أم لا، وهو فعل يقع في دائرة السلوكيات.

- الفعل الكلامي الثاني:(فما هكذا تخاطبنا)، تشكل هذا الفعل من.

١-فعل إسنادي/نحوي: موضوعه الأساس الفاعل المستتر في (تخاطبنا).

٢-فعل إحالي، والإحالة فيه ضميرية تعود على المخاطب (المفضل الجعفي).

٣-فعل إنجازي، حمل حمولة خبرية مفادها أن يكون الخطاب الموجه إلينا خطاباً يختلف عما هو عليه الآن، وهو فعل يقع في دائرة السلوكيات.

ه-((ولقد سمع كلامنا أكثر مما سمعت فما أفحش في خطابنا)) (٦٥).

-الفعل الكلامي الأول (ولقد سمع)، ويتشكل هذا الفعل من :

١-فعل إسنادي/نحوي: يتكون من جملة فعلية موضوعها الأساس الفاعل المستتر في (سمع).

٢-فعل إحالي، والإحالة فيه عائدة إلى مقام الإمام الصادق(ع).

٣-فعل إنجازي، حمل حمولة خبرية مفادها أن الإمام (عليه السلام) قد سمع منا أكثر مما سمعت أنت، وهو فعل يقع في دائرة الحكميات.

- الفعل الكلامي الثاني (فما أفحش في خطابنا)، يتشكل هذا الفعل من:

١-فعف إسنادي/نحوي: مكون من جملة فعلية، موضوعها الأساس الفاعل المستتر في (أفحش).

٢-فعل إحالي، والإحالة فيه ضميرية عائدة على مقام الإمام ٠عليه السلام).

٣-فعل إنجازي حمل حمولة خبرية مفادها أن الإمام المعصوم قد سمع منا ولم يفحش في خطابنا، وهو فعل يقع في دائرة الحكميات.

ثالثاً: سبب إملاء الكتاب على المفضل.

أ-((قال المفضل: فخرجت من المسجد محزوناً مفكراً فيما بلي به الإسلام وأهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها)) (٦٦).

- الفعل الكلامي الأول((فخرجت من المسجد))، ويتشكل هذا الفعل الكلامي من:

١-فعل إسنادي/نحوي: مكون من الجملة الفعلية (فخرجت) موضوعه الأساس الفاعل، وهو المتكلم (المفضل الجعفي).

٢-فعل إحالي، والإحالة فيه ضميرية عائدة على المتكلم (المفضل الجعفي).

٣-فعل إنجازي، حمل حمولة إنجازية مستلزمة مفادها خروج المفضل الجعفي محزوناً مفكراً. وهو فعل يقع في دائرة التبيينات.

ب-((فدخلت على مولاي (عليه السلام) - فرآني منكسراً)) (٦٧).

-الفعل الكلامي(فرآني منكسراً). وقد تشكل هذا الفعل من:

١-فعل إسنادي/نحوي: تكون من جملة فعلية موضوعها الأساس الفاعل المستتر في (رأى)، ومن موضوع ثان وهو المفعول في (رأى)، وأعني المفضل الجعفي.

٢-فعل إحالي، وقد كانت الإحالة فيه ضميرية عائدة على الفاعل (الإمام الصادق)، فضلاً على الضمير الياء في (رأى) العائد على المتكلم (المفضل الجعفي).

٣-فعل إنجازي، حمل حمولة خبرية مفادها رؤية الإمام (عليه السلام) لصاحبه منكسراً حزيناً، وهو فعل يقع في دائرة السلوكيات.

ج-((فقال (عليه السلام): يا مفضل لألقين عليك من حكمة الباري (جل وعلا وتقدس اسمه) في خلق العالم والسباع ... فبكر علي غداً)) (٦٨).

-الفعل الكلامي الأول (يا مفضل)، وقد تشكل هذا الفعل من:

١-فعل إسنادي/نحوي: تكون من تركيب النداء الفعلي، وموضوعه الأساس الفاعل المستتر في فعل النداء المحذوف (أدعو) الذي ناب منابه حرف النداء(الياء).

٢-فعل إحالي، والإحالة فيه عائدة على الفاعل.

٣-فعل إنجازي، حمل حمولة إنجازية خبرية مفادها دعوة الإمام (عليه السلام) لتلميذه المفضل، وهو فعل يقع في دائرة الانفاذيات.

- الفعل الكلامي الثاني (لألقين عليك)، تشكل هذا الفعل من:

١-فعل إسنادي/نحوي: تكون من الجملة الفعلية المتمثلة في الفعل التام (لألقين)، وهو فعل مؤكد وجوباً، وهذا يعني أن المتكلم على درجة من المعرفة والعلم، لأنه عارف بما سيلقيه.

٢-فعل إحالي، والإحالة فيه ضميرية عائدة على المتكلم وهو الإمام (عليه السلام).

٣-فعل إنجازي، حمل حمولة خبرية، مفادها أن المتكلم سيعطي للمخاطب علماً ومعرفة، وهو فعل يقع في دائرة التبيينات.

- الفعل الكلامي الثالث (فبكر علي غداً)، وتشكل هذا الفعل من:

١-فعل إسنادي/نحوي: تكون من جملة فعلية تمثلت في الأمر (بكر) موضوعه الأساس الفاعل المستتر في (بكر).

٣-فعل إنجازي، حمل حمولة خبرية إنجازية مفادها مجيء التلميذ(المفضل الجعفي) إلى معلمه(الإمام الصادق عليه السلام) باكراً. وهو فعل يقع في دائرة الانفاذيات.

نتائج البحث:

أفرز البحث في مقدمة كتاب توحيد المفضل دراسة تداولية جملة من الأمور يمكن إجمالها على النحو الآتي:

أ- بعد الإمعان في التدبّر في مقدمة كتاب توحيد المفضل، تبيّن أن المقدمة قد اشتملت على عدة محاورات، وكل محاورة من هذه المحاورات لها سياق تواصلي خاص بها، وكل سياق قد اشتمل على مرسِل، ومرسَل إليه، ورسالة، فضلاً عن ذلك أن المحاورة الواحدة قد ضمت أكثر من متكلم وأكثر من متلقي، فتارة المتكلم يكون متلقي، وأخرى بالعكس، نستطيع أن نقول هناك تبادل في الأدوار بين المتكلم والمتلقي في المحاورة الواحدة.

ب- بلحاظ الإضمارات التداولية (الافتراض السابق) في مقدمة كتاب توحيد المفضل، الإشارة قد تستعمل فيما يخفى على المتكلم كشفه، واستعمال اسم الإشارة (هذا) في كلام ابن أبي العوجاء قد يفسر بهذا التفسير، أي أن ابن أبي العوجاء قد خفي عنه مقام الرسول(ص) بسبب تعطل أوعية المعرفة لديه.

ج- قدّمت مقدمة كتاب توحيد المفضل ــ من وجهة نظر وظيفية ــ معلومتين رئيستين في كل محاورة من محاورات المقدمة: معلومة يعلم بها المستمع والقارئ، ومعلومة جديدة تثير انتباه السامع أو القارئ.

د- تعددت الأفعال الكلامية المتضمنة في مقدمة كتاب توحيد المفضل، ومن أهمها الأفعال الأدائية الإنجازية، فهي أفعال لا توصف بالصدق والكذب كالأفعال الإخبارية في غير كلام الله عزّ وجلّ، والأئمة المعصومين، وإنما هي أفعال تنجز في ظروف ملائمة،

هوامش البحث:

(١) أوّل ترجمة كانت لهذا المصطلح جاء بها د. طه عبد الرحمن، وقد ترجمه إلى التداولية. (ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٢٧).

(٢) ينظر: المدارس اللسانية المعاصرة: ١٦٦.

(٣) ينظر: المحاورة مقاربة تداولية: ٧.

(٤) ما التداولية ؟، دكتور مجيد الماشطة، مجلة الأديب، بغداد – العراق، السنة الثانية، ع ٥٨، التاسع من شباط، فبراير، ٢٠٠٥: ١٧.

(٥) مبادئ في اللسانيات: ١٧٦-١٧٧.

(٦) السيمياء وفلسفة اللغة: ٤٥٥.

(٧) توحيد المفضل، إملاءات الإمام الصادق(عليه السلام) للمفضل الجعفي، دار الجوادين، لبنان – بيروت، ط١، ٢٠١٢: ٥.

(٨) المصدر نفسه: ٦.

(٩) المصدر نفسه: ٧.

(١٠) النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة: ١١.

(١١) مفهوم الجملة عند سيبويه، الدكتور حسن عبد الغني: ١٩٤ .

(١٢) ينظر: السياق التداولي في ((كليلة ودمنة)) لابن المقفع: ٣١.

(١٣) توحيد المفضل:٥.

(١٤) التداولية عند العرب، مسعود صحراوي:٩٥.

(١٥) توحيد المفضل:٥.

(١٦) ذهبية حمو الحاج ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب: ٢٩.

(١٧) مسعود صحراوي، التداولية عند العرب: ٨٢ .

[١٨] ينظر: النداء بين النحويين والبلاغيين: ١٣٨.

[١٩] ينظر: الملمح التداولي في النحو العربي:٤٧٩.

[٢٠] ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية: ٧.

[٢١] ينظر: مسائل النحو العربي في قضايا الخطاب الوظيفي: ١٠٦.

[٢٢] توحيد المفضل:٧.

[٢٣] النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة: ٢٠.

[٢٤] ينظر: التداولية عند العرب دراسة تداولية لظاهرة ((الأفعال الكلامية)): ٣٠.

[٢٥] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ١١٣.

[٢٦] النظرية التداولية وأثرها في الدراسات المعاصرة: ٢٠.

[٢٧] ينظر:آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٣٠، والخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي:٢٦ – ٢٧.

[٢٨] توحيد المفضل: ٥.

[٢٩]المصدر نفسه: ٥.

[٣٠] ينظر: الدلالة في لغة الصوفية: ١١٧.

[٣١] توحيد المفضل: ٦.

[٣٢] ينظر: لسان العرب مادة(دعا).

[٣٣] توحيد المفضل: ٦.

[٣٤] المصدر نفسه: ٦.

[٣٥] المصدر نفسه:٧.

[٣٦] المصدر نفسه:٧.

[٣٧] الاقتصاد، الشيخ الطوسي:١٩٣/١.

[٣٨] الوظائف التداولية في اللغة العربية: ٨.

[٣٩] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة: ٧٧.

[٤٠] ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية: ٢٨.

[٤١] ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة: ٧٧– ٧٨.

[٤٢] المصدر نفسه: ٧٨.

[٤٣] ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد: ٩٤.

[٤٤] توحيد المفضل:٥.

[٤٥] ينظر: توحيد المفضل:٥.

[٤٦] توحيد المفضل: ٦.

[٤٧] المصدر نفسه: ٦.

[٤٨] المصدر نفسه:٧.

[٤٩] المصدر نفسه:٧.

[٥٠] ينظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة ((الأفعال الكلامية)): ٤٠.

[٥١] تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب أنموذجا: ١٤٩.

[٥٢] ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة: ١٧٤– ١٧٦، والتداولية عند العرب دراسة تداولية لظاهرة ((الأفعال الكلامية)):٤١– ٤٢، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٤٣– ٤٦.

[٥٣] ينظر: اللغة والعقل والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: ٢٠١– ٢٠٢.

(٥٤) توحيد المفضل:٥.

(٥٥) توحيد المفضل: ٥.

(٥٦) المصدر نفسه: ٥.

(٥٧) المصدر نفسه: ٥.

(٥٨) المصدر نفسه: ٥.

(٥٩) المصدر نفسه: ٦.

(٦٠) المصدر نفسه: ٦.

(٦١) المصدر نفسه:٦.

(٦٢) المصدر نفسه: ٦.

(٦٣) المصدر نفسه: ٦ .

(٦٤) المصدر نفسه: ٧ .

(٥٦) المصدر نفسه: ٧ .

(٦٦) المصدر نفسه: ٧ .

(٦٧) المصدر نفسه:٧ .

(٦٨) المصدر نفسه: ٧ .

مصادر البحث

القرآن الكريم

آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،أ.د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠١٤م.

الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، د. يحيى أحمد، مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، ١٩٨٩م.

ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحـ: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م.

الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحـ: لجنة التحقيق في جمعية المنتدى، النجف الأشرف، مطبعة الخيام، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٦م.

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، سليمان زاده، قم، إيران، ط١، ١٤٢٦هـ.

الأمر بين النحويين والأصوليين وأثره على الاختلاف في الأحكام الشرعية، د. نجم الفحام، دار المدينة الفاضلة، بغداد، العراق، ط١، ٢٠١٣م.

الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، الشيخ كمال الدين الأنبا ري، تحـ: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د.ط، د.ت.

التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة، أبو جعفر الطوسي، تحـ: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتبة الإعلام الإسلاميّ، ط١، ١٤٠٩هـ.

التداولية عند العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي،د.مؤيد آل صوينت،مكتبة الحضارات، بيروت،لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، د.ط، د.ت.
الدلالة في لغة الصوفية، د. زينة جليل عبد، ديوان الوقف السني، بغداد، العراق، ط١، ٢٠١١م.
دلالة النداء وأنماط استعماله في شعر المتنبي، أ.م.د. ظاهر محسن كاظم، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد الثالث، العدد الثالث.
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة الآلوسي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
السياق التداولي في كليلة ودمنة لابن المقفع، حبي حكيمة، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، كلية الآداب.
العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي،تحـ:د.مهدي المخزومي،د.إبراهيم السامرائي،دار الرشيد،بغداد،د.ط، ١٩٨٢م.
فتح القدير بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحـ: عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل عن وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، رتبه وضبطه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٢م.
لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، تحـ: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،د.طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ٢٠١٢م.
اللغة والعقل والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٦م.
المحكم والمحيط والأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسيّ، تحـ: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
الملمح التداولي في النحو العربيّ تحليل واستنتاج، م.د. نعمة دهش فرحان الطائي، مجلة العميد، العدد الثامن، ٢٠١٣م.
المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، د.أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠٠٦م.
نظرية أفعال الكلام العامة، أوستن، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، د.ط، ١٩٩١م.
النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، د. أحمد فهد صالح شاهين، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، د.ط، د.ت.
الوظائف التداولية في اللغة العربية، د. أحمد المتوكل، دار الثقافة، المغرب، ط١، ١٩٨٥م.